

عن رسول الله ﷺ: «من قرأ المعوذتين فكانما قرأ الكتب التي أنزلها الله تعالى كلها»<sup>(4)</sup>.

## سورة الناس

### سورة الناس مكية

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾.

قريء قل أعوذ بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى اللام، ونحوه فخذ أربعة.

**فإن قُلْتُ:** لم قيل **«بِرب الناس»** مضافاً إليهم خاصة؟<sup>(5)</sup> **قُلْتُ:** لأن الاستعاذة وقعت من شر الموسوس في صدور الناس فكانه قيل: أعوذ من شر الموسوس إلى الناس بربهم الذي يملك عليهم أمورهم وهو إلههم ومعبودهم، كما يستغيث بعض الموالى إذا اعتراهم خطب سبيدهم ومخدومهم ووالي أمرهم.

مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾.

**فإن قُلْتُ:** **«ملك الناس إله الناس»** ما هما من رب الناس؟ **قُلْتُ:** هما عطف بيان كقولك: سيرة أبي حفص عمر الفاروق. بين بملك الناس ثم زيد بياناً بإله الناس لأنه قد يقال لغيره: رب الناس. كقوله: اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله. وقد يقال: ملك الناس. وأما إله الناس فخاص لا شركة فيه فُجِعِلَ غاية البيان.

**فإن قُلْتُ:** فهلا اكتفى بإظهار المضاف إليه الذي هو الناس مرة واحدة؟ **قُلْتُ:** لأن عطف البيان للبيان فكان مظنة للإظهار نون الإضمار.

بِئْسَ الْأَسْمَاءُ الْهَاتِيهِ ﴿٤﴾.

**«الوسوس»** اسم بمعنى الوسوسة كالزلال بمعنى الزلزلة، وأما المصدر فوسواس بالكسر كزلزال. والمراد به الشيطان، سمي بالمصدر كانه وسوسة في نفسه؛ لأنها صنعتها وشغله الذي هو عاكف عليه، أو أريد ذو الوسواس، والوسوسة الصوت الخفي، ومنه وسواس الحلى، و**«الخناس»** الذي عادته أن يخنس، منسوب إلى الخنوس وهو التأخر كالعواج والبتات لما روي عن سعيد بن جبير:

إطعام شيء ضار أو سقيه أو إشمامه أو مباشرة المسحور به على بعض الوجوه. ولكن الله عز وجل قد يفعل عند ذلك فعلاً على سبيل الامتحان الذي يتميز به الثبت على الحق من الحشوية والجهلة من العوام فينسبه الحشو والرعاع إليهن وإلى نفثهن، والثابتون بالقول الثابت لا يلتفتون إلى ذلك ولا يعيبن به.

**فإن قُلْتُ:** فما معنى الاستعاذة من شرهن؟<sup>(1)</sup> **قُلْتُ:** فيها ثلاثة أوجه: أحدها أن يستعاذ من عملهن الذي هو صنعة السحر ومن إثمهن في ذلك، والثاني أن يستعاذ من فتنتهن الناس بسحرهن وما يخدعنهم به من باطلهن، والثالث أن يستعاذ مما يصيب الله به من الشر عند نفثهن. ويجوز أن يراد بهن النساء الكيادات، من قوله: **«إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ»**<sup>(2)</sup> تشبيهاً لكيدهن بالسحر والنفث في العقد، أو اللاتي يفتن الرجال بتعرضهن لهم وعرضهن محاسنهن كأنهن يسحرنهم بذلك.

وَمِنْ سَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾.

**«إذا حسد»** إذا ظهر حسده وعمل بمقتضاه من بغي الغوائل للمحسود، لأنه إذا لم يظهر أثر ما أضمره فلا ضرر يعود منه على من حسده بل هو الضار لنفسه لاغتمامه بسرور غيره. وعن عمر بن عبد العزيز: لم أر ظالمًا أشبه بالمظلوم من حاسد. ويجوز أن يراد بشر الحاسد إثمه وسماجة حاله في وقت حسده وإظهاره أثره.

**فإن قُلْتُ:** قوله من شر ما خلق تعميم في كل ما يستعاذ منه، فما معنى الاستعاذة بعده من الغاسق والنفاثات والحاسد؟ **قُلْتُ:** قد خص شر هؤلاء من كل شر لخفاء أمره وأنه يلحق الإنسان من حيث لا يعلم كأنما يفتال به وقالوا شر العداة المداجي الذي يكيك من حيث لا تشعر.

**فإن قُلْتُ:** فلم عرف بعض المستعاذ منه ونكر بعضه؟ **قُلْتُ:** عرفت النفاثات؛ لأن كل نفاثة شريرة ونكر غاسق لأن كل غاسق لا يكون فيه الشر إنما يكون في بعض نون بعض. وكذلك كل حاسد لا يضرب، ورب حسد محمود وهو الحسد في الخيرات، ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «لا حسد إلا في اثنتين»<sup>(3)</sup>. وقال أبو تمام:

وما حاسد في المكرمات بحاسد

وقال:

إن العلا حسن في مثلها الحسد

في مشط ومشاطة في جف طلعة نكر، والحديث مشهور. وإنما الزمخشري استقزته الهوى حتى أنكروا ما عرف، وما به إلا أن يتبع اعتزاله ويغطي بكفه وجه الغزلة.

(1) قال أحمد: وهذا من الطراز الأول فعُد عنه جانباً، ولو فسر غيره النفاثات في العقد بالمخيلات من النساء ولسن ساحرات حتى يتم إنكار وجود السحر، لعدّه من بدع التفسير.

(2) سورة يوسف، الآية: 28.

(3) أخرجه البخاري في كتاب: العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة =

(الحديث رقم: 73)، وأخرجه مسلم في كتاب: صلاة المسافرين، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه (الحديث رقم: 816/268).

(4) أخرجه الثعلبي وابن مرويّه والواحدي في تفسيرهم، للزليعي 4/338 وقال ابن حجر: والحديث المرفوع في تلك موضوع الكاف الشاف ص 190.

(5) قال أحمد: وفي التخصيص جرى على عادة الاستعطاق، فإنه معه أتم.

عنيت به من مهاجرتي إليه ومجاورتي ومرابطتي بمكة ومصابرتي. على توكل من القوى. وتخاذل من الخطأ. ثم أسأله بحق صراطه المستقيم، وقرآنه المجيد الكريم وبما لقيت من كدح اليمين. وعرق الجبين. في عمل الكشاف عن حقايقه. المخلص عن مضايقه. المطمع على غوامضه. المثبت في مداخله. الملخص لنكته ولطائف نظمه. المنقر عن فقره وجواهر علمه. المكتنز بالفوائد المفترنة التي لا توجد إلا فيه. المخيط بما لا يكتنه من بدع الفاظه ومعانيه. مع الإيجاز الحائف للفضول. وتجنب المستكروه المملول. ولو لم يكن في مضمونه إلا إيراد كل شيء على قانونه. لكفى به ضالة ينشدها محققة الأحبار. وجوهرة يتمنى العثور عليها غاصة البحار. وبما شرفني به ومجدي واخصني بكرامته وتوحدني. من ارتفاعه على يدي في مهبط بشاراته ونوره. ومتنزل آياته وسوره. من البلد الأمين بين ظهراي الحرم. وبين يدي البيت المحرم. حتى وقع التأويل. حيث وجد التنزيل. أن يهب لي خاتمة الخير ويقيني مصارع السوء ويتجاوز عن فرطاتي يوم التناد. ولا يفضحني بها على رؤوس الأشهاد. ويحلني دار المقامة من فضله. بوسع طوله وسابغ نوله. إنه الجواد الكريم الرؤوف الرحيم.

### في نسخة ما نصه

في أصل المصنف بخطه رحمه الله تعالى: وهذه النسخة هي نسخة الأصل الأولى التي نقلت من السواد وهي أم الكشاف الحرمية المباركة المتمسح بها المحقوقة أن تستنزل بها بركات السماء ويستمطر بها في السنة الشهباء فرغت منها يد المصنف تجاه الكعبة في جناح دار السليمانية التي على باب أجياد الموسومة بمدرسة العلامة: ضحوة يوم الاثنين الثالث والعشرين من ربيع الآخر في عام ثمانية وعشرين وخمسائة وهو حامد لله على باهر كرمه ومصل على عبده ورسوله وعلى آله وأصحابه أجمعين.

إذا نكر الإنسان ربه خنس الشيطان وولى، فإذا غفل وسوس إليه.

اللَّذِي يُوسُّوسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾.

﴿الذي يوسوس﴾ يجوز في محله الحركات الثلاث: فالجر على الصفة، والرفع والنصب على الشتم، ويحسن أن يقف القارئ على الخناس ويبتدئ الذي يوسوس على أحد هذين الوجهين.

مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ ﴿٦﴾.

﴿من الجنة والناس﴾ بيان للذي يوسوس على أن الشيطان ضربان جنني وإنسي كما قال شياطين الإنس والجن. وعن أبي نر رضي الله عنه أنه قال لرجل: هل تعونت بالله من شيطان الإنس. ويجوز أن يكون من متعلقاً بيوسوس ومعناه ابتداء الغاية. أي: يوسوس في صدورهم من جهة الجن ومن جهة الناس. وقيل: من الجنة والناس بيان للناس وأن اسم الناس ينطلق على الجنة، واستدلوا بنفر ورجال في سورة الجن. وما أحقه لأن الجن سموا جنًا لاجتنانهم، والناس ناسًا لظهورهم من الإيناس وهو الإبصار، كما سموا بشرًا، ولو كان يقع الناس على القبيلين وصح نك وثبت لم يكن مناسبًا لفصاحة القرآن ويعدده من التصنع وأجود منه أن يراد بالناس الناسي كقوله: ﴿يوم يدع الداع﴾<sup>(١)</sup> وكما قرئ: من حيث أفاض الناس. ثم يبين بالجنة والناس لأن الثقلين هما النوعان الموصوفان بنسيان حق الله عز وجل. عن رسول الله ﷺ: ولقد أنزلت عليّ سورتان ما أنزل مثلهما، وإنك لن تقرأ سورتين أحب ولا أرضى عند الله منهما، يعني: المعونتين، ويقال: للمعونتين: المقشقشتان: قال عبد الله الفقير إليه: وأنا أعوذ بهما وبجميع كلمات الله الكاملة التامة، والوذ بكشف رحمته الشاملة العامة، من كل ما يكلم الدين، ويثلم اليقين، أو يعود في العقابة بالندم. أو يمدح في الإيمان المسوط باللحم والدم. وأسأله بخضوع العنق وخشوع البصر، ووضع الخد لجلاله الأعظم الأكبر. مستشفعًا إليه بنوره الذي هو الشبية في الإسلام متوسلاً بالتوبة المحصنة للأثام. وبما

## نبذة من ترجمة المؤلف

## رحمه الله تعالى

قد نكر الأستاذ الفاضل الشيخ إبراهيم الدسوقي مصحح دار الطباعة المصرية الميرية سابقاً رحمه الله، جملة من ترجمة مؤلف الكشاف نيل بها النسخة التي جرى عليها الطبع، فاستحسن نقلها بنصها لتكون مرآة للاطلاع على بعض ما للمؤلف من رفيع المزاي وحديد السجايا ولسان صدق في الآخرين وأتمونجاً لفضله المتين ونصها:

هو إمام الأئمة وهادي هداة هذه الأمة أبو القاسم محمود بن عمر بن محمد بن عمر الخوارزمي الزمخشري من هو بأحسن النعوت حرى صاحب التآليف الزاهرة والتصانيف الفائقة الباهرة فهو الإمام الكبير في الحديث والتفسير والنحو واللغة والمعاني والبيان وغيرها بلا معاني كان إمام عصره من غير مدافع، تشد إليه الرحال من كل مكان شاسع، أخذ الألب عن شيخه منصور أبي مضر، وصنف التصانيف البديعة الغرر، منها هذا الكتاب في تفسير القرآن، ولم يدرك شاوه فيه إنسان، والمحاكاة بالمسائل النحوية، والمفرد والمركب في العربية، والفائق في تفسير الحديث، ولم ير مثله في القديم ولا في الحديث، وأساس البلاغة في اللغة، ولم يبلغ كتاب قبله في التمييز مبلغه، وربيع الأبرار ونصوص الأخبار، ومتشابه أسامي الرواة والنصائح الكبار، والنصائح الصغار، وضالة الناشد والرائض، في علم الفرائض، والمفصل في النحو وهو كتاب كبير، وقد اعتنى بشرحه خلق كثير، والأنموذج في علم العربية، والمفرد والمؤلف في المسائل النحوية، ورؤوس المسائل الفقهية، والمستقصى في الأمثال العربية، والبدور السافرة في الأمثال السائرة، والكتاب الجليل: المسمى بديوان التمثيل، وشقائق النعمان: في حقائق النعمان، وشافي العي: من كلام الشافعي، والقسطاس في العروض ومعجم الحدود والمنهاج في الأصول ومقدمة الألب في اللغة وديوان الرسائل وديوان الشعر والرسائل الناصحة والأمال الواضحة في كل فن وغير ذلك وكان شروعه في تأليف المفصل في غرة شهر رمضان سنة 513 ثلاث عشرة وخمسائة وقرغ منه في غرة المحرم سنة 515 خمس عشرة وخمسائة وكان قد سافر إلى مكة حرسها الله تعالى وجاور بها زماناً فصار يقال له: جار الله لذلك وكان هذا الاسم علماً عليه وقد اشتهر أن إحدى رجليه كانت ساقطة وأنه كان يمشي في جارين من خشب واختلف في سبب سقوطها فقيل: إنه كان في بعض أسفاره ببلاد خوارزم أصابه ثلج كثير ويرد شديد في الطريق فسقطت منه رجله وأنه كان بيده محضر فيه شهادة خلق كثير ممن اطلعوا على حقيقة ذلك خوفاً من أن يظن من لم يعلم صورة الحال أنها قطعت لريبة والثلج والبرد كثيراً ما يؤثر في الأطراف في تلك البلاد فتسقط به خصوصاً خوارزم

فإنها في غاية البرودة ومنها خلق كثير سقطت أطرافهم بهذا السبب فلا يستبعده من لا يعرفه، وقيل أن الزمخشري لما دخل بغداد واجتمع بالفقيه الحنفي الدامغاني سأل عن سبب قطع رجله، فقال: دعاء الوالدة، وذلك أني كنت في صباي أمسكت عصفوراً وربطته بخيط في رجله فاقطعت من يدي، فأدركته وقد نخل في خرق فجنبتة فانقطعت رجله في الخيط فتأملت والنتي لذلك، وقالت: قطع الله رجل الأبعد كما قطعت رجله، فلما وصلت إلى سن الطلب رحلت إلى بخاري أطلب العلم فسقطت عن الدابة فانكسرت رجلي، وعملت عليّ عملاً، أوجب قطعها. والله أعلم بالصحة وكان الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد السلفي قد كتب إليه من الإسكندرية وهو يومئذ مجاور مكة حرسها الله يستجيزه في مسموعاته ومصنفاته فردّ جوابه بما لا يشفى الغليل فلما كان في العام الثاني كتب إليه أيضاً مع الحجاج استجازة أخرى اقترح فيها مقصوده ثم قال في آخرها ولا يحوج أدام الله توفيقه إلى المراجعة فالمسافة بعيدة وقد كاتبته في السنة الماضية فلم يجب بما يشفي الغليل وله في تلك الأجر الجزيل فكتب إليه الزمخشري ما لم يكن له في حساب ولولا خوف التطويل لذكرت الاستدعاء والجواب لكن لا بأس بذكر بعض الجواب وهو ما مثلي مع أعلام العلماء إلا أكمل السها مع مصابيح السماء والجهم الصفر من الرهام مع الغواصي الغامرة للقيعان والأكام والسكيت المخلف مع خيل السباق والبعث مع الطير العتاق وما التلقيب بالعلامة إلا شبه الرقم بالعلامة والعلم مدينة أحد بابيها الدراية والثاني الرواية وأنا في كلا البابين نو بضاعه مزجة ظلى فيه أتلص من ظل حصاة أما الرواية فحديثة الميلاد قريبة الإسناد لم تستند إلى علماء نحارير ولا إلى أعلام مشاهير وأما الدراية فتمد لا يبلغ أفواها وبرص مايبيل شفاها ولا يغرنكم قول فلان في فلان وعند جماعة من الشعراء والفضلاء مدحوه بمقاطع من الشعر وأوردوها كلها ولو سردناها لطلال الحال ثم قال فإن ذلك اغترار منهم بالظاهر المموه وجهل بالباطن المشوه ولعل الذي غرهم مني ما رأوا من حسن النصح للمسلمين وإيصال الشفقة إلى المستفيدين وقطع المطامع عنهم وإفاضة المبار والصنائع عليهم وعزة النفس والرب بها عن السفاسف الدنيا والآقبال على خويصتي والإعراض عما لا يعينني فجللت في عيونهم وغلطوا في نسبوني إلى ما لست منه في قبيل ولا بدير وما أنا فيما أقول بهاضم لنفسي كما قال الحسن البصري رحمه الله تعالى في قول أبي بكر الصديق رضوان الله عليه وليتكم ولست بخيركم إن المؤمن ليهضم نفسه وإنما صدقت الفاحص عني وعن كنه روآيتي ودرآيتي ومن لقيت وأخذت عنه وما بلغ علمي وقصارى فضلى وأطلعت طلع أمري وأفضيت إليه بخبية سرى والقيت إليه عجري وبجري وأعلمته نجمي وشجري وأما المولد فقرية مجهولة من قرى خوارزم تسمى: زمخشر وسمعت أبي رحمة الله تعالى يقول: اجتاز بها أعرابي فسأل عن اسمها واسم عبيرها

والذم من نقر الفتاة لدفنها  
أبيت سهران النجى وتببته  
ومن كلامه:

إذا سالوا عن مذهبي لم أبح به  
فإن حنفياً قلت قالوا بأنني  
وإن مالكيّاً قلت قالوا بأنني  
وإن شافعيّاً قلت قالوا بأنني  
وإن حنبليّاً قلت قالوا بأنني  
وإن قلت من أهل الحديث وحزبه  
تعجبت من هذا الزمان وأهله  
وأخزني دهري وقدم معشرا  
ومذ أفلح الجهال أيقنت أنني

وكانت ولادة الزمخشري يوم الأربعاء السابع والعشرين  
من شهر رجب سنة سبع وستين وأربعمائة بزمخشري  
وتوفي رحمه الله تعالى ليلة عرفة سنة 538 ثمان وثلاثين  
وخمسمائة بجرجانية خوارزم بعد رجوعه من مكة رحمه الله  
تعالى ورثاه بعضهم بأبيات ومن جملتها:

فأرض مكة تدرى اللعق مقلتها  
حزنا لفرقة جارا لله محمود  
وزمخشري بفتح الزاي والميم وسكون الخاء وفتح الشين  
المعجمتين وبعدها راء. قرية كبيرة من قرى خوارزم  
وجرجانية بضم الجيم الأولى وفتح الثانية وسكون الراء  
بينهما وبعد الألف نون مكسورة وبعدها ياء مثناة من  
تحتها مفتوحة مشددة ثم هاء ساكنة وهي قصبه خوارزم  
قال ياقوت الحموي في معجم البلدان: يقال لها بلغتهم  
كركانج فعربت وقيل لها: جرجانية وهي على شاطئ  
جيجون. انتهى ما ذكره الأستاذ الدسوقي رحمه الله تعالى.

بعونه تعالى وتوفيقه ومنه  
تم تفسير الكشاف للزمخشري رحمه الله  
ولله الحمد

فقيل له: زمخشري فقال: لا خير في شر ورد ولم يلهم بها  
ووقت الميلاد شهر الله الأصم في عام سبع وستين  
وأربعمائة والله المحمود والمصلى على سيدنا محمد وآله  
وأصحابه هذا آخر الأجازة وقد أطال الكلام فيها ولم  
يصرح له بمقصوده فيها ولا يعلم هل أجازته بعد ذلك أولاً.  
ومن شعره السائر قوله وقد نكره السمعاني في الذيل قال  
أنشدني أحمد بن محمود الخوارزمي إملاء بسمرقند قال  
أنشدنا محمود بن عمر الزمخشري لنفسه بخوارزم:

ألا قل لسعدي ما لنا فيك من وطر  
وما نطلبن النجل من أعين البقر  
فإننا اقتصرنا بالذنين تضايقت  
عيونهم والله يجزي من اقتصر  
مليح ولكن عنده كل جفوة  
ولم أر في الدنيا صفاء بلا كدر  
ولم أنس إذ عازلته قرب روضة  
إلى قرب حوض فيه للماء منحدر  
فقلت له جئني بوردا وإنما  
أرتت به ورد الخلود وما شعر  
فقال انتظرنى رجع طرف أجيء به  
فقال ولا ورد سوى الخد حاضر  
ومن شعر يرثي شيخه أبا مضر المذكور أولاً:

وقائلة ما هذه الدرر التي  
فقلت هو الدر الذي كان قد حشا  
تساقط من عينيك سمطين سمطين  
أبو مضر أنني تساقط من عيني

ومما أنشد لغيره في كتابه الكشاف عند تفسير قوله  
تعالى في سورة البقرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ  
مَثَلًا مَا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾:

يا من يرى مد البعوض جناحها  
في ظلمة الليل البهيم الأليل  
ويرى عروق نياطها في نحرها  
والمخ في تلك العظام النحل  
أغفر لعبد تاب عن فرطاته  
ما كان منه في الزمان الأوّل

وقيل: إن الزمخشري أوصى أن تكتب على لوح قبره  
هذه الأبيات:

ومر كلامه رضي الله عنه:

زمان كل حب فيه خب  
وطعم الخل خل لو يذاق  
لهم سوق بضاعته نفاق  
فنافق فالنفاق له نفاق  
ومن كلامه:

سهرى تخنقح العلوم الذلي  
من وصل غانية وطيب عناق  
وتمايلي طربا للحل عويصة  
أنشهى وأحلى من مدامة ساق  
وصريه أقلامي على أوراقها  
أحلى من اللوكاء والعشاق